29/08/2019

تذكار قطع رأس يوحنا المعمدان



08-29

يرد خبر قطع رأس السّابق المجيد في الأناجيل الثّلاثة الأولى، متّى (١٤:١-١٢) ومرقس (٦:١٤-٢٩) ولوقا (٩:٧-٩).

مقدّمة:

Beheading-of-St-John-the-Baptist-icon01 (1)
Image not found or type unknown

كان قطع رأسه بالآمر هيرودس أنتيباّس المُعيّن من الرومان قيّمًا على الجليل والبيريا، وهابن هيرودس الكبير. حكم كملك ما بين العامَين ٤ق.م و٣٩ ب.م. تزوّج من امرأة اسمها هيرودياّ. لم تكن الشّريعة تجيز زواجه لأنّ هيرودياّ كانت امرأة أخيه فيليبّس.

هذا وهو فيليبّس رئيس الرّبع على إيطوريّة وتراخونيتيس، المذكور في لوقا ٣:١، وهو أخ هيرودس من جهّة أبيه لا أمّه. فيليبّس كان قد أنجب من هيرودياّ ابنة هي سالومي. سالومي غير مذكورة في الأناجيل باسم، فقط معرّف عنها بـ "ابنة هيرودياّ". اسمها ورد لدى المؤرّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفوس. تنصّ الشّريعة صراحة: "عورة امرأة أخيك لا تكشف" (لاويّين ١٨:١٧)، و "إذا أخذ رجلٌ امرأة أخيه فذلك نجاسة" (لاويّين ٢٠:٢١).

توبيخ القدّيس يوحنا لهيرودس:

كان يوحنّا يقول لهيرودس: "لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك" (مرقس ٦:١٨) ويوبّخه لجميع الشّرور التي كان يفعلها (لوقا ٣:١٩). فحنقت هيرودياّ عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر (مرقس ٦:١٩). لماذا لم تقدر أن تقتله؟ "لأنّ هيرودس كان يهاب يوحنّا عالمًا أنّه رجل بارّ وقدّيس وكان يحفظه" (مرقس ٦:٢٠)

متّى الإنجيليّ يقول قولًا آخر. يقول إنّ هيرودس: "أمسك يوحنّا وأوثقه وطرحه في السّجن من أجل هيرودياّ" (متّى ١٤:٣). ويقول أيضًا إنّ هيرودس أراد أن يقتل يوحنّا

لكنّه “خاف من الشّعب لأنّه كان عندهم مثل نبيّ” (متّى ١٤:٥). رغم ذلك كانت هيرودياّ تتحيّن الفرص لتتخلّص منه إلى أن كان “يوم موافق” (مرقس ٦:٢١) تمكّنت فيه من إراغ غليلها.

الأمر بقطع رأسه:

ذلك اليوم كان يوم ميلاد هيرودس. صنع الملك عشاءً “لعظمائه وقوّاد الأول وو وجوه الجليل” (مرقس ٦:٢١). وفي العشاء دخلت ابنة هيروديا ورقصت في الوسط فسرّت هيرودس والمتّكئين معه. ومن ثمّ وعد بقَسَم أنّه مهما طلبت يعطيها (متّى ١٤:٧) حتّى نصف مملكتي” (مرقس ٦:٢٣)، على حدّ تعبيره. النصّ في مرقص (مرقس ٦:٢٤)، يقول إنّها خرجت “وسألت أمّها: ماذا أطلب. فقالت رأس يوحنّا المعمدان” (متّى ١٤:٨). لذلك فيما يبدي متّى الإنجيليّ أنّ الابنة كانت قد تلقّنت من أمّها أجابته للوقت بسرعة: “أعطني ههنا حالما أقسم هيرودس بأن يعطيها مهما طلب” (متّى ١٤:٨). هذا أحزن الملك حزنًا شديدًا. لماذا؟ ربّما على طبق رأس يوحنّا المعمدان” (متّى ١٤:٨) لأنّه خاف العاقبة من جهّة الشّعب (متّى ١٤:٨) لأنّه كان يهابه ويوقّره ويسمعه بسرور (مرقس ٦:٢٠). أنّى يكن فإنّه، “من أجل الأقسام والمتّكئين معه” (متّى ١٤:٩)، وجد نفسه مجبَرًا على الإيفاء بما وعد، وكالملوك الذي يُرسل فأمر أن يُعطى رأس يوحنّا في سجن. فمضى السّيّاف وقطع رأسه في السّجن. ثمّ أتى برأسه على طبق وأعطاه للصّبيّة والصّبيّة أعطته لأمّها. فلمّا سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثّته ووضعوها في قبر” (مرقس ٦:٢٩). هذا ما يوافينا به كلّ من متّى ومرقص الإنجيليّين. أمّا قول أفشار إلى قطع رأس يوحنّا في معرض الكلام على يسوع. فإنّه إذ بلغ هيرودس الملك جميع ما كان من يسوع والقوّات التي كانت تجري على يديه، وإذ تناهى إليه ما كان الناس يقولونه عن يسوع إنّه يوحنّا المعمدان، قد قام من الأموات، وأنّ إيليّا ظهر وأنّ نبيًّا من القدماء قام، ارتاب وقال: “يوحنّا أنا قطعت رأسه. فمَن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا. وكان يطلب أن يراه” (مرقس ٦:٩). هذا الذي هو يسوع ظنّ أنّ متّى ومرقص يعطيان الانطباع أنّ هيرودس أنّما أشار إلى أنّ يوحنّا قام من الموت. لذلك جاء عن الملك، في متّى، أنّه قال لغلمانه: “هذا هو يوحنّا المعمدان. قد قام من الأموات ولذلك تُعمل به القوّات” (متّى ١٤:٦) هذا به (مرقس ٦:١٤). والقول في إنجيل مرقس شبيه

69f2a9df2fd451d5a0911ab5d282a60b

من أقوال الآباء:

يعتبر القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ

ً وخوفا ً الإجلال“ الكلمة فوق في أنّ ...” الصمت هذا وهو يوحنّا القديس غريغوريوس: “ قول
في آن، وأنّ في معاينة هيرودس دليلاً على عظمة الفضيلة وتأثيرِ يوحنّا فيه رغم توبيخه له. حتّى الأشرار يُعجَبون بالفضيلة ويمدحونها. من هنا، في نظر الذهبيّ الفمّ، حُزْنُ هيرودس. ولا يفوت القدّيسَ أن يشير إلى مكائد الشرّير من خلال الرقص والسُّكر. ففيما أضحت ابنة هيروديّا متورّطة من خلال الرقص في جريمة من أبشع الجرائم التي تحدّث عنها التاريخ، أطلق هيرودس، بتأثير الخمرة والخلاعة والمجد الباطل، قَسَماً جعله، خلافاً لقناعته، قاتلاً لأعظم مواليد النّساء.

وأورد القدّيس غريغوريوس بالإسهاب في شأن سماع هيرودس ليوحنّا بسرور. قال: “ما كان يقوله الإنجيلي مرقس إنّ هيرودس كان يسمع ليوحنّا معناه: في الأدوية يحصل ما يناقض التعاليم الروّحيّة. نشعر بمرارة الدوّاء لكنّنا نتناوله بدافع تفيده. أمّا في ما يتعلّق بالتعاليم الروّحيّة فهي عذبة لكنّ الذين يشتعلون بالرغبات الشرّيرة لا يتقبّلونها بسبب عداوتها لهم. ربّما كان هيرودس يسمع له في البداية (مرقس ٦:٢٠)... لكنّه كره التوبيخ فنسي النصائح الأولّيّة واتّفق مع هيروديا من أجل القتل. وكان يخاف من الجمع (متّى ٥:١٤) بسبب الإمكانيّة ثورتهم بل بسبب مجدّ حكمهم عليه، لأنّهم كانوا يعتبرونه نبيّاً. كانت فضيلة يوحنّا مشهورة وكان هيرودس يحبّ المجد فخاف من حكم الجمع، لذلك كان يقدّم المديح ليوحنّا ظاهرياً.

وفي حديث القدّيس غريغوريوس عن المجد الباطل وتأثيره في النفس يقول: “يعاين ذهنك (Nous)... هذا المرض! فمع أنّه أُبدع من الله ملكاً ومتسلّطاً على الأهواء، عندما ينجذب... من المجد الباطل... يُقاد إلى أعمال شائنة وعواقب وخيمة. هكذا فإنّ كلّ واحد، مستعبَد للخطيئة والشهوات، عندما يُوبِّخ من ضميره يتضايق أوّل الأمر. لذا يحبس (يحبس ضميره)، بمعنى، كما فعل هيرودس بيوحنّا رافضاً أن يسمع له، غير مريد أن يتبّع الأقوال النافعة عن الخطيئة. وعندما تتسلّط عليه الشهوات بحضور هيروديا، وهي فكر الخطيئة الكامن في النفس، عندها تنتزع الشهوات هذه الكلمة النقيّة المزروعة في النفس أي الضمير فتقضي عليه وتقتله قضاءً

للكتاب المقدّس وكلمة الله كما حصل لهيرودس بالنّسبة ليوحنّا”.

ملاحظة:
يُذكر أنّ قطع رأس السّابق جرى في قلعة ماخيروس بقرب البحر الميّت.

في النهاية نُفي هيرودس الملك إلى ليون في فرنسا سنة ٣٩م وإلى هناك تبعته هيروديّا.

كما يُشار إلى أنّ عيد قطع رأس السّابق المجيد جرى الاحتفال به، أوّل الأمر، في القسطنطينيّة وبلاد الغال (فرنسا) ثمّ انتقل إلى رومة. وهو يوم صوم بخلاف سائر الأعياد. في قنداق الاحتفال بعيده تُرتّل الكنيسة فيما ترتّل: “إنّ قطع رأس السّابق المجيد صار بتدبير إلهيّ ليكرز للذين في الجحيم بمجيء المخلّص...”.

طروباريّة قطع رأس النّبيّ الكريم السّابق المجيد يوحنّا المعمدان باللّحن الثّاني
تذكار الصدّيق بالمديح، فأنت أيّها السّابق تكفيك شهادة الرّبّ، لأنّك ظهرتَ بالحقيقة أشرفَ من كلّ الأنبياء، إذ قد استأهلتَ أن تُعمّد في المجاري من كرزوا هم به. ولذلك إذ جاهدتَ عن الحقّ مسروراً، بشّرت الذين في الجحيم بالإله الظاهر بالجسد، الرّافع خطيئة العالم، والمانح إيّانا الرّحمة العظمى.

قنداق باللّحن الخامس
إنّ قطع رأس السّابق المجيد صار بتدبيرٍ من الإلهيّ. لكي يُكرزَ للذين في الجحيم بمجيء المخلّص، فلتنتحبْ إذنْ هيروديّا الطّالبة القتل المخالف للشّريعة، لأنّها لم تؤثر شريعة الله ولا أحبّتِ الحياة الأبديّة، لكنّها بالحري أحبّت الحياة الوقتيّة.

antiochpatriarchate.org